الحدث قبل ثلاثة أيام، أصدرت الخرطوم قرارها بإعادة سفيرها لدى القاهرة عبد المحمود عبد الحليم إلى عمله، وذلك بعد نحو شهرين على استدعائه نتيجة التوترات بين البلدين. وبينما رُجِّح أن تكون عودته بعد غد الخميس، أو في بدايات الأسبوع المقبل «على أقصى تقدير»، صرّح السفير لوسائل إعلام مصرية، أمس، بأنّه سيعود «في الأسبوع الأول» من الشهر المقبل

سفير الخرطوم «يعود» إلى القاهرة

لا ميادين تتحمّل صراعات الجارتين

الخرطوم ـ **صباح موسى**

في سابقة ضمن السياق التاريخي للعلاقات بين البلدين، استدعت الخرطوم قبل نحو شهرين سفيرها لدى القاهرة، في ظلّ توتر في العلاقات الثنائية كاد يصل إلى حدوده القصوى ويُنذِر بنشوب صراع لا تحمد عقباه بين بلدين جارين ومتداخلين، خاصة من منظور «أمن مياه النيل». الشرارة الأخيرة في سياق تدهور العلاقات اندلعت عقب الزيارة «التاريخية» للرئيس التركي رجب طيب أردوغان للخرطوم، في نهاية كانون الأول/ ديسمبر الماضي، لكونها الأولى من نوعها منذ استقلال البلاد عام 1956. وفي خلالها، منح البشير (إلى جانب توقيع عدد مهم من الاتفاقات) امتيازاً لأنقرة يسمح بتطوير جزيرة سواكن الواقعة على البحر الأحمر، شرقي البلاد، و«إعادة إعمار الآثار العثمانية الموجودة فيها»، ما أثار حفيظة الجانب المصري، ودفع نحو اتهام الخرطوم بتسليم الجزيرة لأردوغان الذي يُناصب القاهرة العداء، بغية بناء قاعدة عسكرية تركية في البحر الأحمر. وقد شنّ عدد من الإعلاميين المصريين هجوماً عنيفاً على سلطات السودان ورئيسها، معبّرين في ذلك عن رفض القاهرة للأمر، فضلاً عن اعتبار أمن البحر الأحمر «خطاً أحمر» بالنسبة إلى مصر. وعلى سبيل المثال، رأى رئيس تحرير «الشروق» المصرية عماد الدين حسين، في حينه، أنّ زيارة الرئيس التركي تندرج «في إطار مناكفة مصر ومعاندتها ومحاولة إزعاجها بكل الطرق»، مضيفاً أنّ «اللوم الحقيقي ينبغي أن يذهب لسياسة الرئيس السوداني الذي لم يفعل شيئاً خلال الشهور الماضية، إلا مناكفة مصر».

في خلفية المشهد، فقد سبق زيارة أردوغان حدث تجميد مفاوضات «سد النهضة» الإثيوبي بين كل من القاهرة والخرطوم وأديس أبابا، نظراً إلى اختلاف وجهات النظر بين مصر من جهة والسودان وإثيوبيا من جهة أخرى. (قامت القاهرة من جانبها بتعليق المفاوضات بشأن السد ورفعت مشاكلها الفنية إلى السلطات السياسية في تلك الدولتين، واقترحت بعد ذلك دخول البنك الدولي كطرف محايد في هذه المفاوضات، إلا أنّ العاصمة الإثيوبية رفضت. وبعد زيارة وزير الخارجية المصري سامح شكري لإثيوبيا، راجت أحاديث بأنّ الأخير طلب من أديس أبابا التفاوض المباشر معها وخروج السودان من هذا التفاوض. ورغم نفي القاهرة، فإنّ مصادر رسمية سودانية قالت إنّ الخرطوم وصلها فعلاً ما يفيد بأن شكري طلب ذلك من الإثيوبيين).

لم تنتهِ التوترات عند هذا الحد، إذ كان مسؤولون سودانيون يذهبون إلى حدّ الحديث «عن وجود حشود عسكرية مصرية في إريتريا، المتاخمة للحدود الشرقية للبلاد»، وقد قام الجانب السوداني بغلق هذه الحدود. ورغم نفي وزير الخارجية السوداني، إبراهيم غندور، اتهام بلاده لمصر بوقوفها خلف «هذه الحشود»، فإنّ الفكرة عُمِّمت في البلاد، حتى كادت تتحوّل إلى هاجس.

في غضون ذلك، يُجمِع عدد من متابعي ملف العلاقات بين البلدين على أنّ كل أزمة مصرية ـ سودانية لا بدّ أن تُمثَّل في أحد جوابها إفرازاً من إفرازات الأزمة الثنائية الأساسية، في إشارة إلى التنازع بينهما بشأن مثلث حلايب الحدودي، خاصةً أنّ الخرطوم تعتبره تابعاً لها وأنّ الجيش المصري فرض سيطرته عليه «فقط» بعد محاولة اغتيال الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، في أديس أبابا عام 1995، في عملية اتُّهمت بها الخرطوم بشكل مباشر. ولا تتوانى الخرطوم عن المطالبة بالمثلث، وبتجديد شكاواها الرسمية أمام الأمم المتحدة، سنوياً. ويبقى هذا النزاع الحدودي جاهزاً للاستخدام عند كلّ مفترق في العلاقات بين البلدين: كلما ساءت، طفا إلى السطح من جديد.

القنابل الموقوتة الجاهزة لتفجير ملف العلاقات بين البلدين، استُخدِمت كلّها تقريباً، قبل سحب الخرطوم لسفيرها، في وقت تعاملت فيه القاهرة بـ«هدوء»، انعكس على لقاء الرئيس عبد الفتاح السيسي بنظيره السوداني على هامش القمة الأفريقية الأخيرة التي استضافتها أديس أبابا في نهاية الشهر الماضي. وفي ذلك اللقاء، «أكد الرئيسان على أهمية العلاقة بين بلديهما وضرورة المضيّ قدماً لإزالة كل العوائق... وقررا تشكيل لجنة رباعية من وزيري الخارجية ومديري أجهزة الأمن والمخابرات في البلدين لمناقشة القضايا العالقة، ورفع تقرير بها إلى الرئيسين في مدة لا تتجاوز الشهر من لقائهما»، الأمر الذي حصل فعلاً في الثامن من الشهر الجاري حين اجتمعت اللجنة الرباعية بين الجانبين في القاهرة، وخرجت بنتائج وُصِفت بالـ«إيجابية». ورغم أنّ مجمل التوقعات ذهبت في حينه إلى أنّ «الخرطوم سوف تُعيد سفيرها إلى القاهرة عقب هذا اللقاء مباشرة»، فإنّ الخرطوم أخذت بعض الوقت «لأنّها (كانت) تريد الاطمئنان إلى أنّ أسباب سحب السفير زالت، وأن هناك جدية من الطرف المصري

أين تركيا؟

وسط تصاعد الأزمة التي أوجدتها زيارة أردوغان للخرطوم ضمن جولته الأفريقية، بدا في الأيام الأخيرة أنّ الموقف التركي عاد ليتماشى وما تتطلبه عودة الحياة إلى خطوط السودان ـ مصر. وفي هذا الصدد، بدا لافتاً قبل أسبوع نفي نائب رئيس الوزراء التركي، هاكان جاويش أوغلو، أن تكون اتفاقية إعمار شبه جزيرة سواكن في السودان بمثابة تعاون عسكري. وكان وزير الخارجية السوداني إبراهيم الغندور قد نفى، عقب اجتماع القاهرة، أيّ تعاون عسكري بين بلاده وتركيا في جزيرة سواكن. وأوّل من أمس، أعلن مساعد الرئيس السوداني رئيس اللجنة التنفيذية للتعاون السوداني ـ التركي، عوض الجاز، أنّ عدداً من الاتفاقات التي وقّعها البشير وأردوغان آخر العام الماضي دخلت حيّز التنفيذ، مضيفاً «لا نلتفت للكلام الذي يُبنى عليه عمل غير مفيد... نحن نبحث عن مصالحنا، دون أن نضر بمصالح أحد».

رغم ذلك، يبقى أنّ تركيا حاضرة بقوة في شرق أفريقيا وفي صراعات القرن الأفريقي، ولها حساباتها الخاصة ضمن هذه المساحة المعقّدة بتوازناتها، ما يعني حتماً أنّ عودة الحياة إلى خطوط «الجارتين» لا تعنيها.

(الأخبار)

الجزائر

زيارة أردوغان... الانعزاليون و«الإخوان» أبطالها

الجزائر ـ **الأخبار**

قبل ساعات فقط من وصول الرئيس التركي إلى الجزائر أمس، ظهر خلاف حاد بين قطاع من الجزائريين، حول شخصية رجب طيب أردوغان، بين من يعتبره «ديكتاتوراً لا يستحق الترحاب»، ومن يرى فيه «نموذجاً للنجاح الاقتصادي والفكري الذي يجب الاقتداء به». ولم يكن هذا السجال لينطلق لولا الشرارة التي أطلقها الكاتب كمال داوود (الصورة)، والتي سرت كالنار في الهشيم في ميدان بدا مهيّأً للاشتعال، نظراً إلى أنّ النقاشات والردود تركّزت حول الأيديولوجيات و«الهوية».

ومما كتبه الروائي داوود الذي يتحوّل شيئاً فشيئاً في الجزائر ومحطيها إلى شخصية مثيرة للجدل، أنّ أردوغان يمثل الإسلام السياسي الذي ترفضه الجزائر لأنها دفعت ثمنه غالياً. وجاء في مقالته التي «تُخاطب» أردوغان: «نحن بلد دفع ضريبة الدم والدموع لأولئك الذين أرادوا أن يفرضوا علينا خليفتهم، لأولئك الذين أرادوا تمرير أفكارهم على أجسادنا، لهؤلاء الذين أخذوا أبناءنا كرهائن وقتلوا عقولنا ونخبتنا ومستقبلنا. وهذه العائلة التي تتدحرج بنا باسم الله أو الدين، أنت تنتمي إليها وتموّلها، وتحلم بأن تكون قائدها العالمي».

واتهم داوود أردوغان بالرغبة في إعادة «احتلال الجزائر»، إذ إنّ «الإسلام السياسي الذي يمثل خبزك صنع مآسينا نحن. أنت تقدم الغطاء والأجنحة لأولئك الذين يريدون بلادنا راكعة أمام بابك العالي، لكنك تنسى أنك تمثل نقيض الروح التي تأسست عليها بلادنا. فأنت تكره الحرية والروح المنفتحة، وتحب التلاعب واستعمال الدين كسجل تجاري. أنت تحلم بخليفة على ظهورنا وعودة إلى أراضينا». وتابع متوجّهاً إلى الرئيس التركي في مقالته التي اتخذت شكل الرسالة: «هذا ما تقوم به بنعومة، عبر تمويل الأحزاب الإسلامية في بلادنا، وتقديم الهدايا لهم عبر مؤسساتكم، عبر التغلغل في نسيج الجمعيات، ومراقبة المساجد. إنها أساليب قديمة لإخوانكم المسلمين الذين يظهرون لنا بإحدى أيديهم سماء الله ويحفرون قبورنا بالأخرى».

هذا الكلام العنيف ما كان ليمر من دون أن يجرّ عليه وابلاً من الانتقادات والاتهامات، علماً بأنّ داوود كثيراً ما يُهاجم بسبب سعيه ليكون شخصية غريبة عن قضايا المجتمعات العربية، في مقابل «بيع» الصحف الغربية مقالات مثقلة بنمطيتها عن العالم العربي، بما يمكّن من وصفه بالـ«انعزالي».

أبرز ما يعاب عليه داوود أنّه يناقض نفسه، عندما يرفض زيارة أردوغان،